مضامين الشعر الثوري في ديوان "مع الشهداء" لـ"أحمد الطيّب معاش"

ا. طيبي بوعزة
قسم اللغة والادب العربي - كليّة الآداب واللغات .
جامعة بن خلدون . تيارت . الجزائر

الملخص :

تمهيد:

لقد تمكَّن الشعر الثوري في الجزائر بصدق التَّعبير عن ثورة نوفمبر 1954م، واستطاع أن يقدِّم توصيفا دقيقا لمخاض الحريَّة في الجزائر، ومن بين شعراء ثورة التَّحرير يبرز الشاعر أحمد الطيب معاش، هذا الشاعر الذي جعل من القصيدة سلاحا ضدَّ المستعمر. وعليه سنحاول في هذه الدِّراسة تتبُّع بعض قصائده الشِّعرية من ديوان "مع الشهداء"، محاولين التَّركيز على القصائد التي تصور بطولات وأمجاد ثورة التحرير ودراستها من النَّاحية الشَّكليَّة والموضوعيَّة.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الثورة، المضمون، القصيدة

Résumé :

The revolutionary hair in Algeria was able to honestly express November 1954 revolution, he was able to provide an accurate description of the pangs of freedom in Algeria, among the poets poet Ahmed Tayeb Maach liberation revolution pension, this poet who make of the poem as a weapon against the colonizers. Therefore we will try in this study follow some poetic poems from the Divan ' martyrs ', trying to focus on poems that depict tournaments and the glories of the revolution and studied editing in form and substance.

Keywords: poetry, revolution, documenting, laurels, tournaments, martyr

لطالما ارتبط الشِّعر بالإنسان وآماله وآلامه، والشِّعر الجزائري لا يشذُّ عن هكذا حكمٍ، فهو الآخر ارتبط في كل مرحلة من مراحله بقضايا الوطن والشَّعب، يدفعه إلى ذلك حرص الشَّاعر الجزائري على ألَّا يُغرِّد خارج السِّرب، فكان ملتزما بالتَّعبير عن آلام وآمال الشَّعب الجزائري، لقد رسم صورة واضحة المعالم لمعاناة الشَّعب الجزائري أثناء الحقبة الاستعماريَّة، مركزا فيها على صور الاضطهاد والتَّنكيل، كما عبَّر بجماليَّة فائقة عن ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م

وما تلاها من انتصارات على جميع الأصعدة، كيف لا "وهو شهر الثورة، شهر تُقدَّس فيه كل الأشياء المهوَّلة، فقد قدَّس فيه الشَّاعر النَّار التي تلتهم فيه الدُّجى... الدَّمع... الموت الذي يفتخر به كل من يعلو إلى المقصلة من أجل وطنه وحريَّة بلاده، قدَّس فيه الشيب الذي خضِّب بالدَّم، قدَّس فيه الطفل الذي يلفظ أنفاسه، قدَّس هذه الشَّاهقات، هذه الجبال الشَّامخات، بما فيها من ثلوج وصخور عاتية."[1] لقد مثَّل الشِّعر حافزا نفسيا لاستمرار المقاومة، وإثارة الحماس في قلوب الجماهير والتفافها حول جيش التَّحرير الوطني... لقد كان صوت الثَّورة المسموع داخل الجزائر وخارجها، واستطاع "الشعراء رغم فقرهم الفنِّي والثَّقافي أن يرسموا صورة مركَّبة بدا فيها المستعمر الفرنسي همجيا متوحشا خارجا عن دائرة الإنسانيَّة، وهي صورة شملتها نعوت لا حصر لها."[2]

إنَّ الأدب الجزائري لا يزال يفصح عن حقائق تاريخيَّة، ويبرز أخرى كونه يحافظ على جملة من القيَّم عبر تخليدها بلغة شعريَّة راقية ويُخرج إلى العلن حقائق قد أغفلها المؤرِّخون، فالأدبُ (الشعر) وطنيٌ بامتياز همُّه الوحيد التَّعبير عن الواقع الأليم وتطلُّعه لمستقبل مشرق، وهو في غنى عن تبني أيِّ اتجاه سياسي أو أيديولوجيَّة معيَّنة، فالحركة الأدبيَّة "ذات صلة وثيقة بالوضع الوطني والاجتماعي، فقد كان الأديب دائما ضمير الأمَّة وصدى همومها وآمالها ولسانها المعبِّر عن معاناتها وطموحها، يرصد جوانب الخير والشر فيها، فيبارك تلك عمومها، ويعرض بهذه ويدينها، مبشرا بمُثل العمل والمحبَّة والوفاء، داعيا إلى سعادة الإنسان وصون كرامته وكرامة وطنه، مُعلنا عداءه لكل أشكال الظلم والقهر وكل أساليب المصادرة التي تتعرَّض لها حريَّة الافراد والأوطان."[3] وعليه فالأدب الجزائري لم يكن بمنأى عن الأحداث التي عايشتها الجزائر منذ الاحتلال أو قبله في حدود ما ترصده الدِّراسات الأدبيَّة والتَّاريخيَّة، فقد حمل أصوات الرَّفض لهذا الاحتلال، وآثر التَّمسك بالتُّراث والدِّين واللُّغة والعادات والتَّقاليد وكلُّ ما من شأنه أن يُثبِّت هويَّة الفرد الجزائري، وعليه يمكننا النَّظر إليه على أنَّه وثائق اجتماعية، تمثِّل صورا للحقيقية الاجتماعيَّة الواقعية، وأنَّها ترشِّح الخطوط العامة لتاريخ المجتمع.[4]

يُعتبر الشِّعر الثوري شعرا امتزجت فيه الملكة الشعريَّة بآلام وأجاع الأنا الشاعرة، فأضحى سلاحا في وجه المستعمر، لقد كان "صخَّابا لجبا، مجلجل النَّبرة، قويَّ الإيقاع يقرع الآذان بألفاظه الجزلة وتعابيره التي تندرج تحتها المبالغة والتَّهويل، باعتباره يعتمد على أسلوب الجَّهر أكثر من أصوات الهمس التي تعبِّر عن المواقف الرومانسيَّة."[5] ولا يخفى على أحدٍ دوره الفعَّال في تأجيج المعارك المستعرة ضدَّ المستعمر، وإلهاب حماس الجماهير، فكانت ثورة التَّحرير حاضنة النِّضال والإبداع "فامتزج حبر أقلامهم بالدَّم والنَّار والحديد وأشعارهم ما إن تخرج للوجود حتَّى يتلقفها الثوار والطلبة والعمال، لا لشيء إلا لأنها تعبر عما يجيش بنفوسهم من آمال وشوق للحرية وتطلع للاستقلال، فكانت عبارة عن قذائف يقذف بها العدو، فيزداد بركان الثورة لهيبا."[6] وعليه فقد سار

الشعر الجزائري الحديث وثورة التَّحرير في اتِّجاه واحد، لا يفارق أحدهما الآخر، لأنَّه "كان ملائما مع ما كانت تعيشه الجزائر، والثورة طبعت مسيرة الشعر في الجزائر من خلال القضايا التي عكسها هذا الشعر في المرحلة الثورية، وعليه فالشعراء الجزائريون جسدوا جوانب مهمة مما تفاعلت في محيطهم من قضايا وطموحات فكان بذلك نغما جوهريا في صوت الجزائر."[7]

01- التَّعريف بالشَّاعر:[8]

وُلد أحمد الطيب معاش (2005/1926م) في قرية سريانة (الأثلاث التابعة لولاية باتنة جنوبي شرق العاصمة الجزائرية) عاش متنقلا بين الجزائر وتونس وليبيا وسورية وسويسرا. تلقَّى تعليمه المبكِّر في الكتَّاب، ثم تابع تعليمه في كل من مدينتي باتنة وقسنطينة، ثمَّ جامع الزيتونة بتونس، ثم انتسب لكلية الحقوق بدمشق عندما كان بها ممثلاً للثورة الجزائريَّة والحكومة المؤقَّتة. انضمَّ لجيش التَّحرير الوطني سنة 1955م، وكان ممثلاً لثورة الجزائر على رأس وفد رياضي ثقافي في عدد من الأقطار العربيَّة، وممثلاً لمكتب جبهة التَّحرير في سورية حتَّى الاستقلال. اختيرَ سفيرًا لبلاده في ليبيا سنة 1963م مدَّة سبع سنوات، انتقل بعدها إلى منفاه الاختياري في أوروبا حتى عودته إلى بلاده سنة 1990م، شارك في عدة مؤتمرات عربيَّة وفلسطينيَّة برفقة الرئيس أحمد بن بلة ومن بعده الرئيس هواري بومدين. كان عضوًا بجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين، وعضوًا باتِّحاد الكتَّاب الجزائريين.

مُنحَ وسام جيش التحرير الوطني الجزائري، وحصل على جائزة الملك محمد الخامس في الشعر على مستوى المغرب العربي الكبير 1946م، ومنحه الزعيم جمال عبد الناصر وسام الاستحقاق 1962م، وحصل على وسام الاستحقاق أيضا من ملك الأردن، وعلى شهادة التَّكريم الثقافيَّة من الجزائر 1987م، وعلى جائزة محمد بوضياف في الشعر 1992م، وجائزة نوفمبر الشعريَّة من ولاية باتنة 1999م، وجائزة وزارة المجاهدين في ذكرى الثورة التَّحريريَّة 2001م، وجائزة وزارة الثقافة بالجزائر 2003م.

من مؤلفاته: "مع الشهداء" 1985م، و"التَّراويح وأغاني الخيام" 1986م، و"دواوين الزمن الحزين" 2005م، ومجموعة من قصائد نشرت في بعض الصُّحف الجزائرية، كالبصائر، المنار، الشعب، الأحرار، البلاد، الشروق الثقافي، الشروق اليومي، وله عدد من الدواوين المخطوطة، منها: "الزمن الحزين" و"خماسيات السنوات العجاف"، و"علجية"، و"يوميات حرب التحرير".

02- قراءة في نماذج مختارة من ديوان "مع الشهداء":

يضمُّ الديوان ست وثلاثين قصيدة تراوحت مضامينها بين ثورة التَّحرير الوطنيَّة وأبطالها والقوميَّة العربيَّة، وفي ذلك يقول في مقدمة الديوان: "هذه مجموعة من القصائد البكائيَّة التي ذرفت عبراتها على بعض شهدائنا الأبرار في مناسبات متعددة، فمنها ما ألقيته على قبر شهيد، ومنها ما

تلوته على مقام فقيد.. ومنها ما نشرته في بعض الحف بمناسبة ذكرى هذا الشهيد أو ذاك، أو لرثاء هذا الفقيد أو ذاك، أو حتَّى للبكاء على مدينة هزَّها الزلزال، أو قرية أو مدينة دمَّرها الاستعمار.."[9] ويمكن تقسيم الديوان من حيث المضمون إلى قسمين:

- **القسم الأول:** قصائد (17 قصيدة) تغنَّت بشخصيات وطنية وخلَّدت أحداث تاريخية فاصلة في مسار ثورة التَّحرير، ويضمَّ:

أ- قصائد تخلِّد شخصيات ثوريَّة (05 قصائد).

ب- قصائد تخلد شخصيات وطنية (05 قصائد).

ج- قصائد تخليد أحداث تاريخية وبعض معارك حرب التَّحرير (07 قصائد).

- **القسم الثاني:** خصَّصه الشاعر للوطن العربي وهمومه ونكباته المتكرِّرة، وقد خصَّ معظمها لفلسطين كقصيدة شهداء صبرا وشاتيلا وقالت فلسطين أو الرثاء الذاتي.... ورَاثِيًا بعض الشخصيات القومية العربية كقصيدة فيصل الشهيد وقصيدة فاروق منيب.. إلى اللقاء...

معظم قصائد الديوان كانت في غرض الرثاء، فهو إمَّا يرثي شهداء الواجب والتَّضحية والوطن، أو شهداء العلم والمعرفة والأدب كابن باديس والعربي التبسي وأحمد رضا حوحو... أمَّا من ناحية الشكل فقد جاءت كلها تقريبا عمودية مختلفة.

يوحي عنوان الديوان (مع الشهداء) بأنَّ الشاعر بصدد سرد جملة من الذكريات والأحدث التَّاريخيَّة التي عايشها رفقة عدد من الشهداء والمجاهدين، وتفاصيل معارك طاحنة ضدَّ المستعمر الفرنسي الذي "يمثل النموذج الخاص لاستعمار بشع سيبقى سلوكه المتوحش ماثلا في ذاكرة الأجيال الجزائريَّة المخلصة"[10]، وفي الديوان أيضًا ليالي قاسية قضاها الشاعر في جبال الأوراس والأطلس وجرجرة وشلعل مجاهدا في سبيل الجزائر واستقلالها، كما يوحي أيضا بوفاء الشاعر لمن استشهد من أصدقاءه في ساحة المعركة، وهو ما نجده ماثلا في الديوان في العديد من القصائد التي نظمها في ذكرى وفاتهم كمصطفى بن بولعيد وسي الحواس....

سنحاولُ فيما يلي دراسة بعض النَّماذج الشعريَّة المختارة من الديوان، على أن تركيزنا سيكون على توصيف الشاعر لأبطال الثورة ومآثرهم وتخليده لأحداثها وبطولاتها.

2-1- قصيدة إلى الشهيد مصطفى بن بولعيد:

نظم الشاعر القصيدة بتاريخ 03 مارس 1985م لتتصادف والذكرى التَّاسعة والعشرين لاستشهاد البطل مصطفى بن بولعيد (22 مارس 1956م) وعليه فالقصيدة مهداة إلى روحه الطَّاهرة في هذا اليوم الذي دأبت فيه ولاية باتنة سلطة وشعبا على تذكُّر مسيرة البطل.

2-1-1- رمزية العنوان ودلالته:

اختار الشاعر لقصيدته عنوان "إلى الشَّهيد مصطفى بن بولعيد"، وهو عنوان يُفصح أنَّ الشاعر في موقع رثاءٍ وذكرٍ لمناقب الرجل ومآثره وسردٍ لبطولاته، يدل على ذلك المحذوف الأول في بداية الجملة، والمقدَّر بـ"قصيدة" والمحذوف الثاني بعد حرف الجر "إلى" المقدَّر بـ"روح" فيصبح العنوان "قصيدة إلى روح الشَّهيد مصطفى بن بولعيد"، فالشاعر هنا في مقام ترحُّم على روح الشَّهيد وكلُّه تقدير واحترام وتبجيل. كما أنَّ استعماله لكلمة "الشهيد" معرَّفة بـ"ال" إحالة منه إلى أنَّه شهيد غنِّي عن التَّعريف، فإنجازاته وبطولاته كفيلة بأن تُخبر عنه وتُعرِّفه، ويكفيه فخرا واعتزازا أنَّه كان ضمن المخطِّطين الأوائل لثورة التَّحرير، ولعلَّ إضافة اسم الشَّهيد الكامل بعد مفردة "الشهيد" تأكيد على حضور البطل (مصطفى بن بولعيد) في وجدان وتاريخ الشَّعب الجزائري في كل مراحله، ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

2-1-2- البناء الفكري للقصيدة:

تتكون القصيدة من ثلاثة وأربعين بيت (الشعر العمودي) على البحر الكامل، ويمكن تقسيم مضمونها اعتمادا على البناء الفكري إلى خمس وحدات:

- **الوحدة الأولى (01 إلى 05):** حسرة الشَّاعر وحزنه العميق على فراق الشَّهيد "مصطفى بن بولعيد"، ويظهر ذلك في المطلع، يقول:

يا ساكنا أكبادنا وهوانا إنَّا أتينا نذرف الأحزانا
ونذيبه دمعا غزيرا ساخنا علَّ الدموع تخفف الأشجانا[11]

يفتتح القصيدة بالنداء في رغبة صريحة منه في إيصال كلامه إلى روح الشَّهيد، هي رسالة يرغب في تمريرها بأيِّ طريقة، غير أنَّ الواقع يفرض عليه طريقة واحدة ألا وهي الدموع، فهي كفيلة بأن تُخفِّف ولو قليلا من حجم الحزن الذي يجتاحه، وحسرة لا مثيل لها لفقدان رجل قلَّما يعيد التاريخ مثله، وهو ما يؤكده تكرار الشاعر للدمع ومرادفته ثلاث مرات في البيتين: نذرف، دمعا غزيرا، الدموع. والأمر في حقيقته ينطبق على شهداء الجزائر جميعا، الذين قدَّموا أرواحهم فداءً للجزائر، ومن حقِّهم علينا أن نحتفظ بذكراهم في قلوبنا ونحافظ على إنجازاتهم. كما أنَّ حزن الشاعر يمتد ويتَّسع بما فيه الكفاية لتحزن الغابة لفقدان البطل، هذه الغابة التي كانت مسرحا لأسدٍ من أسود الجزائر، يقول:

والغابة الزرقاء تبكي مثلنا والثلجُ يُخفي دمعها الهتَّانا[12]

- **الوحدة الثانية (06 إلى 10):** الدروس والعبر الممكن استخلاصها من ذكرى استشهاد البطل، فهي الجهاد والبذل والإيثار والإيمان، يقول:

أنت الذي علمتنا ذاك الفدى والبذل والإيثار والإيمان[13]

وكنوعٍ من ردِّ الجميل يتعهَّد الشاعر بمواصلة الدَّرب واستكمال مسيرة التَّحرير والتَّطور التي بدأها البطل وبقيَّة الشهداء، يقول:

إنَّا نعاهد كل حرٍ خاشع حول المقام بأن نصون حمانا[14]

كما يؤكِّد على أنَّ جزائر الاستقلال ليست بمأمن من المؤامرات التي تُحاك ضدَّها، وبأنَّ الشعب الجزائري سيقف وقفة رجل واحد لحمايتها والذود عنها، يقول:

ونردُّ كيد الكائدين لشعبنا والصائدين السارقين دمانا[15]

– **الوحدة الثالثة (11 إلى 29):** مكانة الشَّهيد البطل "مصطفى بن بولعيد" في قلوب الجزائريين وانجازاته البطوليَّة والتَّاريخية، يقول:

يا راحلا والأرض ترقب سيْره والرَّمل فيه يُقبِّل الإنسانا
والكلُّ يهتف: مصطفى فتُجيبنا قمم الجبال معيدة شكوانا
ويذود عن شعب براه مُعمِّر عاتٍ ويحمي الدِّين والقرآنا[16]

يشير الشاعر إلى الوفود الكثيرة التي تحضر سنويا هذا الاحتفال، كيف لا والأمر متعلق بالشَّهيد "مصطفى بن بولعيد"، الشَّهيد الذي فاز بقلوب الجزائريين دون استثناء، بل تعدَّى ذلك إلى الجبال والوديان التي شهدت بطولات الرجل (تغرد الأطيار/تصفق القمم العوالي/تصيح جرجرة).

– **الوحدة الرابعة (30 إلى 35):** ينتقل الشاعر بعد ذلك ليصوِّر لنا ما آلتْ إليه الأمَّة العربيَّة والاسلاميَّة من تفرق وتشتت بسبب الحروب الطائفيَّة والخصومات المذهبيَّة، يقول:

ونقول يا الله أين كرامة ولقد أذلَّ المعتدون حمانا ؟
ونقول يا الله أين عروبة والقدس تندبُ حظَّها الأسوانا
ونقول يا الله أين المسلمون ونارهم تستهدف الأوطانا ؟
أودوا بقدس ثم لبنان الفدى واليوم تضرب كربلا إيرانا
وتردُّ طهران بكل قذيفة عمياء تحرق أختها بغدانا[17]

– **الوحدة الخامسة (36 إلى 43):** أمنية الشاعر في تطور الجزائر ورُقيِّها واتِّحاد الدول العربيَّة "فشعر الثورة كان ملائما مع ما كانت تعيشه الجزائر، والثورة طبعت مسيرة الشعر في الجزائر، من خلال القضايا التي عكسها هذا الشعر في المرحلة الثانوية، وعليه فالشعراء الجزائريون جسدوا جوانب مختلفة مما تفاعلت في محيطهم من قضايا وطموحات فكان بذلك نغما جوهريا في صوت الجزائر"[18]، يقول:

ونسيرُ في ركب البناء لغاية من أجلها عمل الشهيد زمانا
فإلى الأمام جميعنا وإلى العلى والله جلَّ جلاله يرعانا[19]

2-1-3- ملامح البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد:

يمكن استخلاص جملة من ملامح البطل من القصيدة، وهي تقريبا كلُّها صفات معنويَّة ترتبط بمخبر الرجل، وهو ما يتناسب ومقصد الشاعر وغرضه، فهو في موقف رثاء وحزن وألم على فقدانه، والذكرى ذكرى مؤلمة، الأمر الذي جعله يُهمل الصِّفات الماديَّة ويقتصر على المعنويَّة فقط، يقول:

يا أيُّها البطل المفارق أرضنا عش في السماء ورافق الرحمانا[20]

لقد توفي البطل وهو في جهاد ضدَّ المستعمر الفرنسي، فهو شهيد حقٍ وواجب، ولا شكَّ أنَّه بذلك يدخل في قوله تعالى :" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ *قُتِلُوا* فِي *سَبِيلِ اللَّهِ* أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"[21]. ويورد الشيخ عبد الرحمان السعدي في تفسير هذه الآية: "أي في جهاد أعداء الدِّين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله، أي لا يخطر ببالك وحُسبانك أنَّهم ماتوا وفُقدوا، وذهبت عنهم لذَّة الحياة الدنيا، والتَّمتع بزهرتها الذي يحذر من فواتها، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ويرزقون بأنواع النَّعيم الذي لا يعلم وصفه إلَّا من أنعم به عليهم"[22]. وفي بيت آخر يقول:

أنت الذي علمتنا ذاك الفدى والبذل والإيثار والإيمان[23]

وهي شهادة تاريخيَّة على أنَّ الشهيد "مصطفى بن بولعيد" رجلٌ توفَّرت فيه كلُّ الصِّفات الحميدة والأخلاق الكريمة، من علم وبذل وإيثار وإيمان، وهو بذلك يمثِّل المواطن الجزائري المتمسِّك بعروبته، المعتزِّ بإسلامه.

كما نستشف صورة البطل القائد الذي توافرت فيه شروط القيادة من حنكة وسداد الرأي والإيمان والشجاعة والحرص على وحدة الصَّف والتَّوجيه والتَّنظيم ما أهَّله لحمل لقب "أسد الأوراس"، يقول:

يدعو إلى التَّوحيد كل مجاهد ويوجِّه الأخدان والإخوانا[24]

كما يقف الشاعر على ملمح آخر من ملامح الشَّهيد البطل، وهو شجاعة الرجل وبسالته في مواجهة المستعمر ونصرة إخوانه الجزائريين، بالإضافة إلى حمله لواء المحافظة على مقومات الهويَّة الوطنيَّة من دين ولغة وعادات وتقاليد، يقول:

ويذود عن شعب براه معمر عات ويحمي الدين والقرآنا[25]

ولعل من أهمِّ الصُّور التي رسمها الشاعر لمصطفى بن بولعيد صورة الشَّهيد المخطِّط والمؤسِّس والمفجِّر الحقيقي لثورة نوفمبر المجيدة، حتَّى أنَّ من المؤرخين من يطلق عليه بـ"أب الثورة"، وهو ما نستنتجه من عجز البيت التاسع عشر، عندما يتحدَّث عن بيان أول نوفمبر، يقول:

قالت أيا أوراس هذا مصطفى قد عاد يحمل في اليمين بيانا[26]

2-1-4- الانجازات والبطولات:

لقد تغنَّى الشاعر بإنجازات الشَّهيد "مصطفى بن بولعيد" كثيرا في هذه القصيدة، كيف لا وهو يقف على قبره في وقفة تذكُّر وإجلال واحترام، وغايته "أن يجد اللَّفظة التي تنسجم انسجاما طبيعيا مع ما يحسُّ به داخل أعماقه"[27] يدلِّل على ذلك ذكره للكثير من الأماكن التي كانت ساحة لمعارك خاضها الشهيد، ومن البطولات التي تطرَّق لها:

- المعركة التي توفي بها، وهي منطقة "نارة" ببلدية "منعة" ولاية "البويرة" والتي خلَّدها الشاعر بقوله:

وتغرد الأطيار فوق خميلة في سفح نارتنا العظيمة الشانا
وتطل كل مليحة في منعة أو باتنا لتشنف الآذانا[28]

فمنطقة "نارة" من وجهة نظر الشاعر لم تكن ذات شأن لو لم يستشهد بها البطل "مصطفى بن بولعيد"، فوفاته شرفٌ وفخر تعتزُّ به المنطقة وسكَّانها، وعليه فهي أشبه بروضة من رياض الجنَّة ومرتعا للطُّيور المغرِّدة. أمَّا عن يوم استشهاده فلم يكن يوما عاديا، بل كان عرسا شهده أهل القرية جميعا، حتَّى العذارى خرجنَّ من البيوت في صراخ وعويل قد يُلحق الأذى بالآذان، وهي صورة جميلة استطاع الشاعر من خلالها أن يرسم صورة واضحة لنا عن الحزن الذي اعترى المنطقة وسكانها، فالحدثُ ليس بالهيِّن، فالشاعر "يصور عواطف الشَّعب الجزائري ويعبِّر عن آماله وعن آلامه، ولكي تفهم قصائده يجب أن توضع في إطارها التَّاريخي."[29]

وهناك أيضًا تلك المعارك التي دارت في جبال "وادي عبدي" و"الأوراس" و"شلعلع" و"بوعريف" و"جرجرة"... وغيرها من الجبال والأودية التي شهدتْ للرجل بالبطولة والشجاعة والتَّضحية.

لقد استطاع الشاعر "أحمد الطيب معاش" أن يرسم لنا صورة واضحة المعالم للشَّهيد البطل "مصطفى بن بولعيد" من خلال "هذه الحشود الكثيرة من الصُّور والتَّعابير البسيطة، وهذه النَّغمة الجيَّاشة المخلصة، ثمَّ هذا الجو الشَّاعري الذي يلفُّ القصيدة كلَّها، كل هذه الألوان والصور تجعل منك تحسُّ بأنَّك تعيش مع هذا الشَّعب وتشعر بألمه."[30] وعليه جاءت القصيدة رثاءً أقلُّ ما يقال عنه أنَّه نابع من القلب، ذو عاطفة صادقة كيف لا والمرثيُ أحد الشَّخصيات الثَّوريَّة وقائد عسكري للثورة الجزائريّة وجبهة التَّحرير الوطنيّ، الملقب بأسد الأوراس.

2-2- قصيدة خط موريس والبغل الشهيد:

تقع القصيدة في أربعة وثلاثين بيت من الشعر العمودي على البحر الخفيف، والملاحظ على هذه القصيدة أنَّ الشاعر قد مهَّد لها بتصدير (تقديم) يوضَّح من خلاله ملابساتها، وقد جاء فيه:

"في ليلة طويلة من ليالي خريف 1958م، كانت السماء مقمرة والأرض باهتة وسكون ما قبل العاصفة يخيِّم على الجميع واقتربت مجموعتنا الصَّغيرة من خطِّ موريس الرَّهيب، وقد تمكَّن بعض زملائنا المتخصِّصين من إحداث ثغرة فيه لنمرَّ منها بعد تعطيل ما فيه من أسلاك كهربائية وفجأة وقع انفجار عنيف هزَّ الأرض من تحت أقدامنا، واختلط الدُّخان والغبار والشظايا بأزيز قذائف العدو التي كان يُصوبها من مركز غير بعيد إلى مكان الانفجار... فجمعنا أمرنا وحملنا جريحنا الوحيد وتركنا بغلنا الشَّهيد الذي فجَّر اللُّغم بحوافره الكريمة ثم توغَّلنا في شعاب جبل بوخضرة نحو الحدود الشرقيَّة، وفي الصَّباح كانت هذه الأبيات."[31] إنَّ مثل هذه المقدمة أو التَّصدير يمثِّل عتبة نصيَّة* تزيل الكثير من الإبهام الذي يمكن أن يعلق بذهن المتلقي من جرَّاء الصَّدمة التي يمكن أن تصيبه من العنوان "البغل الشهيد"، فهو يُخبرنا سلفا عن مضمون القصيدة ويعطينا ملخصا لأحداثها.

2-2-1- رمزية العنوان:

ليس باستطاعة أيِّ باحث أو مؤرخ إحصاء جرائم المستعمر الفرنسي، ولو وهب عمره في سبيل ذلك، فقد تنوَّعت واختلفت، ولكنَّ الهدف منها واحد، وهو القضاء على الهويَّة الوطنيَّة الجزائريَّة وجعل الجزائر فرنسيَّة بكل الوسائل والطرق، ومن أفظع تلك الجرائم الأسلاك الشَّائكة المكهربة التي زرعتها على الحدود في محاولة منها لعزل الجزائر عن دول الجوار ومنع المؤونة والسِّلاح من الوصول إلى ثورة التَّحرير الوطنيَّة، فقد تم التَّوصل في ظرف سنة كاملة من صيف 1956م إلى سبتمبر 1957م إلى إقامة حزام من الأسلاك المكهربة تمتد من النَّاحية الغربيَّة إلى مسافة 150كلم، أما شبكة الشرق فتمتد على مسافة 320كلم.

أمَّا عن الجزء الثاني من العنوان، فقد صدَّر له الكاتب بمقدمة يشرح فيه دلالته، المتمثلة أساسا في التَّضحية المبذولة من طرف بغل كان مع مجموعة من المجاهدين في محاولة منهم لاختراق خط موريس، فإذا به يدوس أحد الألغام المزروعة بجانبه، وينتهي به الأمر شهيدا.

2-2-2- البناء الفكري للقصيدة:

تتكون القصيدة من أربع وحدات اعتمادا على المضمون، وهي:

- **الوحدة الأولى (01-02):** الشاعر يقدِّم ملخَّصا لبقيَّة القصَّة (القصيدة) ويُعلن من البداية سقوط البغل شهيدا في كمين نصبه المستعمر الفرنسي بمحاذاة خط موريس، يقول:

سقط البغل في الكمين شهيدا ونجونا بفضل ذلك الشهيد
قد حمانا بجسمه من شظايا سكنت في قوامه الممدود[32]

- **الوحدة الثانية (03- 08):** تصوير الشاعر كيفية استشهاد البغل، يقول:

عندما صار حذو خط موريس سبقتنا خطاه كالصنديد

فرمى حافرا على شحنة الموت فأضحى في الحين كالجلمود[33]

كما يقدِّم بعض مواصفات هذا البغل الشَّهيد (القوة، الصمود، السرعة...)

- **الوحدة الثالثة (09-11):** ردَّة فعل المجاهدين بعد سقوط البغل شهيدا، يقول:

فحزنا عليه حزنا شديدا وأفضنا عليه بالتَّمجيد
وهممنا بدفنه كشهيد غير أنَّ العدو غير بعيد[34]

إنَّ رغبة المجاهدين في دفن البغل وحزنهم عليه وكأنَّه واحد منهم يُظهر لنا جليا الجانب الإنساني الذي تميَّز به أبطال ثورة التَّحرير، على عكس المستعمر الفرنسي الذي لم ينجو من طغيانه واستبداده حتَّى الحيوان والنبات.

- **الفكرة الرابعة (12-31):** انتقال الشاعر فيما بعد لسرد أحداث ما بعد استشهاد البغل، يقول:

واحتمينا بغابة بعض وقت ثم سرنا كالطيف نحو الحدود
وحملنا جريحنا وقصدنا حصن غار الدماء بالتَّحديد
ومع الفجر جاءنا أهل بر بفطور يسدُّ جوع الوليد[35]

- **الفكرة الرابعة (31- 34):** الأمل الذي يحذو الشاعر والمجاهدين باستقلال الشعب الجزائري، يقول:

وتقوم الزهور من كل روض لتحي رفات كل شهيد
فنُوالي بعد العناء غناء ونشيدا يفوق كل نشيد[36]

إنَّ القصيدة عبارة عن قصَّة شعرية نظرا لاشتمالها على مقومات العمل القصصي من أحداث وبنية زماكنية وشخصيات والأهم توفر عنصر السَّرد فيها.

- **الأحداث:** لقد عالج الشاعر مجموعة من الأحداث في قصيدته هذه (استشهاد البغل، ردَّة فعل المجاهدين وحزنهم عليه، احتماؤهم وسط الغابة، لجوؤهم إلى قرية قريبة وكرم ضيافة أهلها، وصفه للجوع الشديد الذي أصابهم، قدوم الطبيب لمداواة الجرحى، الحوار الذي دار بينهم، المزاح والدعابة بين المجاهدين.)

- **الزمان:** وهو ما صرَّح به الشاعر في مقدمته، ليلة من ليالي خريف سنة 1958م.

- **المكان:** الحدود الشرقية حيث خط موريس تحديدا غار الدماء.

- **الشخصيات:** الشاعر (الراوي)، محمود، الطبيب، سعيد.

2-2-3- سياسة المستعمر:

اتَّبعت فرنسا في الجزائر سياسة استعماريَّة ذات طابع استيطاني تهدف من ورائها للقضاء على المقومات الحضاريَّة الشخصيَّة الوطنيَة للشعب الجزائري، وترمي أيضًا إلى اخضاعه والتَّحكم

فيه، كما ارتكبت جرائم ومجازر شنيعة ضدَّ الشَّعب الجزائري، تعدَّدت بطرق مروعة، فمن التَّقتيل الجماعي للسكَّان إلى النَّهب والسَّلب وتدنيس المقدَّسات... وفي القصيدة بعض الإشارات إلى هذه السياسة الاستبدادية الفظيعة، أهمُّها الأسلاك المكهربة التي طوَّقت بها الحدود الشرقيَّة والغربيَّة وزرع حقل من الألغام بمحاذاتها لمنع عمليات العبور أو الاختراق، على طول طريق تبسة، تقرين، الوادي[37]، وهي بذلك تفرض حصارا على الشعب الجزائري وممثله الشرعي الوحيد جبهة التَّحرير الوطني. إضافة إلى استعمال المستعمر الفرنسي للأسلحة المتطورة والتي يقابلها أسلحة تقليدية كبنادق صيد وما شابهها، يقول:

هل تسدُّ الخيوط ثقبا عريضا من صنع الروكات والطوربيد[38]

إنَّ السياسات المتَّبعة من قبل المستعمر الفرنسي للقضاء على ثورة التَّحرير في مهدها، لم تزد أبطال الثورة والشعب الجزائري إلاَّ إصرارا على مواصلة الكفاح لتحصيل الحريَّة ونيل الاستقلال، والقصيدة تطفح بمؤشرات دالة على المعنويات المرتفعة للمجاهدين وهم في ساحة المعركة، يقول الشاعر:

فضحكنا برغم حزن شديد ومزحنا برغم بغل شهيد
بعدها قال لي الرفيق سعيد إنني البغل فارثني بقصيد[39]

2-3- قصيدة معركة تارشيوين (أو دمعة على شهدائنا الأبطال..):

جاءت القصيدة في أربعة وعشرين بيتٍ من الشِّعر العمودي على بحر الرمل، أُلقيَت في شتاء سنة 1954م بجبل "تارشيوين" بالأوراس، أي بعد المعركة "تارشيوين" مباشرة، فالشاعر كان أحد المجاهدين في جبل "شلعلع" بمنطقة تارشيوين، وفي هذا دلالة قويَّة على ارتباط الشِّعر الجزائري آنذاك بثورة التَّحرير المجيدة، وبالتَّالي فهو تعبير عن تجربة فردية وجماعية (الشاعر/المجاهدين)، فالشعراء الجزائريين "توصَّلوا إلى حقيقة أكبر وفن أكبر عندما جعلوا من المسألة الوطنيَّة المضمون الإنساني والاجتماعي لآثارهم، ولكي نتقدَّم بأدبنا إلى الأمام ونرفع مستواه يجب أن نندمج في المعركة بشكل كليٍّ وحماسي"[40] وهو شعر اللَّحظة، وتوثيق مباشر للمعركة ومجرياتها، فالشاعر الجزائري "وجد نفسه منذ فجر فُتوتِّه في مواجهة المحنة العامة، استبدادا وظلما وقهرا ومسخا، يحاول به الاحتلال فعل كلَّ شيء بالوطن، وفي المقدمة سلخه من امتداده الطَّبيعي عربيا وإسلاميا... فانتهى الأمر بالشَّاعر من البداية إلى التَّموقع في خندق النِّضال الوطني."[41]

2-3-1- دلالة العنوان:

جاء العنوان على شكل مركَّب اسمي معرف بالإضافة (معركة تارشيوين)، و"تارشيوين" منطقة بالأوراس شهدت العديد من معارك حرب التَّحرير، ومن بينها هذه المعركة التي جعل منها

الشاعر موضوعا لقصيدته هذه، ولم يكتفي الشاعر بهذا العنوان لكونه عاما في دلالته، بل عمد إلى عنوان فرعي كثَّف من خلاله الدَّلالة وهو "أو دمعة على شهدائنا الأبطال.." ومعه يتَّضحُ غرض القصيدة، إنَّه الرِّثاء، الذي يبرز في كلمة "دمعة" فالدَّمعة لا تُذرف إلاَّ حُزنًا، خاصة إذا تعلَّق الأمر بالشُّهداء.

2-3-2- البناء الفكري للقصيدة:

يهدف الشاعر من القصيدة إلى تخليد ذكرى معركة "تارشيوين" وتوثيق أحداثها، هذه المعركة التي سقط فيها الكثير من الشهداء في مواجهة المستعمر الفرنسي، فكانت القصيدة ومن وراءها الشاعر خير شاهد على شعب عانى قصور ردود الفعل الذي أثارته الوقائع الاستعمارية، كما كان شاهد على مأساة الشَّعب الحقيقيَّة، وخبر باعث لإثارة الثورات العنيفة من أجل نداء الشَّاعر إلى النِّضال المسلَّح،[42] وبما أنَّ الشاعر كان أحد أبطالها، نجده ينقل إلينا الوقائع بصفته مُعايشًا لها، ويمكن تقسيمها حسب الأفكار إلى ثلاث وحدات:

- **الوحدة الأولى (01 إلى 04):** مقارنة الشَّاعر لمنطقة تارشيوين قبل المعركة باعتبارها منطقة جبليَّة نائيَّة يسودها البؤس في أعتى مظاهره والجهل والأسقام إلى أن وقعت بها المعركة (الملحمة) التي غيَّرت وجهها تماما ورفعت اسمها عاليا، يقول:

كنت يا تارشيوين للبؤس رمزا ثم أضحيت للفدا كربلاء
ملأتك السنون جهلا وأسقا ما فأضحيت للصدور شفاء[43]

- **الوحدة الثَّانيَّة (05 إلى 13):** تخليد الشَّاعر لملحمة تارشيوين، وتبيانه للتَّضحيات الكبيرة المبذولة من قِبَل أبطال ثورة التَّحرير، من خلال اعتماده على معجم ثوري، معجم "صخبٌ لجبٌ، مجلجل النَّبرة، قوي الإيقاع يقرع الأذان بألفاظه الجزلة وتعابيره التي تندرج تحتها المبالغة والتَّهويل، باعتباره يعتمد على أسلوب الجهر أكثر من أصوات الهمس التي تعبر عن المواقف الرومانسيَّة."[44] فنجده يوظِّف: الملاحم، ترعب، لا تخشى، شهداء، دماها، المجد في قوله:

وهنا نشهد الملاحم تترى ترعب الأرض ولا تخشى السماء
شهداء هنا بحر دماها تسطر المجد وتكسيه رواء
ها هنا العطر من دما شهدانا غمر السَّفح والربى والفضاء[45]

- **الوحدة الثَّالثة (14 إلى 24):** افتخار الشاعر بأبطال تارشيوين وانجازهم التَّاريخي، واعتزازه بأبناء الجزائر، يقول:

فئة من بنيك يا شعب تبني بدماها هنا لنا علياء
فئة من بنيك تصرع آلافا وتردي الطغاة والجرءاء

فئة من بنيك تردي فئات وتري الدهر همة قعساء[46]

2-3-3- بعض ملامح المعركة من القصيدة:

تطفح القصيدة بملامح عامة لمعركة تارشيوين، بدءًا من البيت الأول، ففعل الأمر في مطلع البيت الأول (خلِّدي) موجَّه لمنطقة تارشيوين، فهو أمر صريح من الشاعر للمنطقة ومن وراءها التَّاريخ لتخليد ذكرى هذه المعركة للأجيال القادمة، ومعركة تارشيوين تستَّحق التَّخليد بفضل الدِّماء الزَّكيَّة التي أُسيلت فيها وحجم الخسائر البشريَّة التي لحقت بالثوار، وهو ما جعله يصف المعركة بـ"الملحمة"، والملحمة هي "الحرب وموضع القتال، والجمع ملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحمة الثوب بالسَّدى"[47] فهي إذن أطول مدَّة من المعركة وأشدُّ وأقوى منها، وفيها يسقط الكثير من القتلى، وتشهد بطولات خالدة قلَّما يعيدها التَّاريخ، يقول:

وأعيدي على الأنام بفخر ملحمات عرفتِها حمراء
فهنا تنطق البطولة جذلى تملأ الأرض فخرها والجواء
شهداء هنا بحر دماها تسطر المجد وتكسيه رواء[48]

يشير الشاعر في البيت الثالث إلى المجد الذي أضافته معركة تارشيوين للمنطقة، التي لم تكن ذا شأن من قبل، فكانت مرتعا للجهل والبؤس والأسقام، غير أنَّ هذه المعركة قد غيَّرت ذلك تماما، فأضحت منطقة يرتبط اسمها بالتَّضحية والفداء، ودورها في الأبيات أنَّها تدلُّ على اللَّهب والتَّوهج الثوري، وتعدُّ رمزا لاندلاع الثَّورة، يقول:

كنت يا تارشيوين للبؤس رمزا ثم أضحيت للفدا كربلاء[49]

ويبرز الشاعر أيضا الفارق من حيث العدد بين المجاهدين والمستعمر الفرنسي، الأمر الذي جعل من المعركة معركة غير متوازنة، فنجده يوظف كلمة "فئة" مع أبطال الثورة، وعندما يصف عدد الجيش الفرنسي يقول:

كم ألوف بها العدو رماها كم ألوف بها إلى الغزو جاء[50]

كما يقدِّم لنا جانبا من همجية المستعمر الفرنسي وخلو جنوده من أيِّ أثر للإنسانيَّة التي يتغنَّون بها، يقول:

كم أغارت على الشبول نسور أمطرتنا من نارها أنواء
قذفتنا العدى بنار وشر فإذا نارهم تعود ضياء
لم ترعنا تلك النسور ولم تجد فتيلا جنودها الجبناء[51]

إنَّ توظيف الشاعر لكلمة "النسور" دلالة على أنَّه كان هناك إنزال جوي (رجال المظلاَّت) مدجَّجين بالسِّلاح، وتصوير الشاعر لفرنسا المستعمرة بهذه الصورة يؤكِّد أنَّها صورة "مرهونة أيضا بالشعراء

والأدباء بعامة، هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يستوعبوا صورة فرنسا أو يعبروا عنها إلا بوعي حضاري وفني يؤهلهم لذلك."[52]

في ظلِّ هذه الممارسات الإجرامية والمعارك غير المتوازنة، كان القتل قدر كلِّ جزائري، قتل لا يفرِّق بين الصَّغير والكبير، يقول:

كل جمع هنا يذوق المنايا كل جهد هناه الأقوياء[53]

وهي السياسة التي اتَّبعتها فرنسا بعد ثورة نوفمبر المجيدة، معتقدة أنَّ ذلك سيرعب الجزائريين ويثبطَّ همهم، لكنَّ تلك السياسة سرعان ما أثبتت فشلها، وعلى العكس من ذلك شجَّعت الشعب الجزائري على المضي قدما في مسيرة تحرره، وزادته يقينا أنَّ النَّصر قريب الأمر الذي جعله يلتف حول جبهة التَّحرير الوطنية، فالشَّاعر "في ذلك الخضم من أبناء هذا الشَّعب العظيم ممَّن شقَّ طريقه وسط الزعازع في صعوبة لا تنكر وشدَّة لا تخفى... واستطاعوا أن يتحدُّوا ذلك الألم وتلك المرارة في صولة تحدٍ صارمة وثورة عزم حازمة.. وتلك هي شيَّم النُّفوس الأبيَّة لا يزيدها الضَّغط والتَّحدي غير إيمان ومواجهة واستماته ومخاطرة... من أجل كلمة ثابتة ومبدأ راسخ."[54]

2-3-4- وقفات مع بعض الأبيات:

وظَّف الشاعر مدينة "كربلاء" العراقية، وهو بذلك يستحضر رمزا تاريخيا من التراث العربي، فالرمز "هو قبل كل شيىء معنى خفي وإيحاء، إنَّه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنَّه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشفَّ عالما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتَّم، واندفاع صوب الجوهر"[55] ففي "كربلاء" قُتل "الحسين بن علي بن أبي طالب" بعد خيانة الشيعة له وتخليهم عنه، فاقترن اسمها على مرِّ العصور بمقتل الحسين، والأمر ذاته بالنسبة لـ"تارشيوين" التي يقترن اسمها في التَّاريخ الجزائري بالمعركة التي سقط فيها الكثير من أبطال الجزائر.

كما يشير أيضا إلى مساندة أهل المنطقة من رجال ونساء وأطفال للمجاهدين، فالنساء كنَّ يطلقنَّ الزَّغاريد مع كل شهيد يسقط، تعبيرا منهنَّ على المصير الذي ينتظره (الجنَّة) وعرفانا منهنَّ لحجم التَّضحية التي يقدمها هؤلاء، فـ"هند" التي رمز بها الشاعر هنا إلى المرأة الجزائريَّة هي "هند بنت عتبة" التي كانت في غزوة أحد تُحمِّس كفَّار قريش لقتال المسلمين، ولما فرَّ المشركون في أول المعركة لهم ضدَّ المسلمين كانت تقذف في وجوههم التُّراب، يقول:

يا لها من ملاحم شهدتها كل (هند) فزغردت إطراء[56]

ممَّا يُلفت النَّظر في هذه القصيدة تكرار الشاعر لقوله "فئة من بنيك" في ثلاثة أبيات متتالية، ويعتبر التِّكرار نوع من الإلحاح على جهة هامة من العبارة، يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، ويؤدي هذا التركيز إلى خلق موسيقى وإيقاع متفرِّد في النَّص،[57] يقول:

فئة من بنيك يا شعب تبني بدماها هنا لنا العلياء
فئة من بنيك تصرع آلافا وتردي الطغاة والجرءاء
فئة من بنيك تردي فئات وتري الدهر همة قعساء[58]

وهو تعبير عن العدد القليل للمجاهدين الذي كان في مواجهة المستعمر الفرنسي، المجاهدون الذين صابروا ورابطوا حتَّى انتصروا، وحقَّقوا مبتغاهم (الاستقلال ونيل الحرِّية) وهو بذلك يتناص مع القرآن الكريم، مع قوله تعالى :"قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ"[59].

نجد تناصا آخر مع القرآن الكريم في قول الشاعر:

قذفتنا العدى بنار وشر فإذا نارهم تعود ضياء[60]

والله – عزَّ وجل – يقول في محكم تنزيله في قصَّة سيِّدنا إبراهيم "قُلْنَا يَا نَار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم"[61] وهو بذلك يؤكد على أنَّ الله معهم، يؤيِّدهم ويُثبِّتهم، لأنَّهم طالبي حق، وما ضاع حق وراءه طالب.

لقد استطاع الشاعر "أحمد الطيب معاش" أن يثبت "أنَّ الشعراء حاولوا أن يعبِّروا عن أحداث شعبهم ويسايروا وثباته ويمشوا معه في حلبة الكفاح، فينشدوا له أهازيج النَّصر الذي حقَّقه بدمه الغالي ويتغنَّوا بأمجاده، ويخففوا من آلامه ويسجلوا مراحل كفاحه."[62] لقد أثبت الشاعر "أنَّ الدَّور التَّاريخي للشاعر ينبع من صراع الجزائر من أجل الحرية التي أصبح لها مفهوما ذا مضمون واحد، ومعنى واحد عند كل أبناء الجزائر، عند الجندي الذي حمل بندقيته وأقبل على الموت، كما هو عند الرَّاعي الذي اختار القنابل المحرقة المبيدة لعدوه بدل أن يختار خيانة وطنه"[63]

– الخاتمة:

بعد الخوض في غمار هذه العلاقة المتينة التي تربط الشعر الجزائري الحديث بالثورة التَّحريريَّة من خلال ديوان الشاعر أحمد الطيِّب معاش (مع الشهداء) وفي نهاية هذه الورقة البحثيَّة نخلص إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

– طُغيان المضمون الثَّوري في شعر "أحمد الطيِّب معاش" بمختلف تمظهراته (الأحداث، الصُّور الشعرية، المعجم الشِّعري، الحقل الدَّلالي).

– قدرة الشَّاعر على تخليد بطولات وأمجاد الثَّورة الجزائريَّة، بقصائد كانت توصيفا صادقا وموضوعيا لمعارك خاضها أبطال الثورة، كما تمكَّن من نقل صورة حقيقيَّة عن الشَّعب الجزائري الرَّافض للوجود الفرنسي بشتى أشكاله.

– تجاوز إحساس الشَّاعر بالثَّورة الجزائريَّة إحساس الشَّاعر إلى إحساس المتمثِّل لها، بوصفه أحد أبطالها وأشخاصها الفاعلين، وهو ما جعله يعيش أحداث الثَّورة وهو في مركزها، ما أهَّله بصورة لا مثيل لها لتصويرها، فاستطاع بصدقٍ توثيق مجرياتها، ويبرز ذلك في اهتمامه بتصوير البطولات والمعارك ومعاناة الشَّعب وصموده، وجُبن العدو وهمجيته.

– تجريب الشَّاعر للقصيدة القصصيَّة في تصوير ثورة التَّحرير، ويبرز ذلك في جنوحه إلى التَّصوير المأساوي الواقعي للمعارك والمشاهد والأحداث، موظِّفا الأصوات الشِّعرية، والحوار التَّداولي والمونولوج، كما أنَّ رؤيته للثَّورة الجزائريَّة لم تكن رؤية شخصيَّة بل تعدَّتها إلى رؤية جماعيَّة تمثِّل كافة أطياف الشَّعب الجزائري.

– تعدُّد مضامين الدِّيوان (الشعر الثوري) بين النَّصر والحماسة والحريَّة والاستقلال، وبشاعة المحتل وهمجيته، والتَّرحم على الشهداء، وتخليد الذكريات ووصفٌ المعارك وذكر للجبال والغابات والسُّهول، والتَّأكيد على مساندة الشَّعب الجزائري للثورة والتفافه حولها.

– هيمنة الثَّورة على مسيرة الشِّعر الجزائري الحديث من خلال القضايا التي تمثَّلها في مرحلتي ما قبل الاستقلال وما بعده.

الهوامش

[1]– عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، سلسلة الأعمال الكاملة، د ط، د ت،ص145.

[2]– عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر–الشعر وسياق المتغيِّر الحضاري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص22.

[3]– عمر بن قينة، ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، ط03، 1992م، ص62.

[4]– عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط01، 1991م، ص13.

[5]– يوسف وغليسي، في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية) جسور للنشر والتوزيع، ط01، ص228.

[6]– بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكريا شاعر مجد الثورة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص85.

[7]– التواتي بومهلة، نماذج من الثورة في النص الشعري، دار المعرفة، د ط، د ت، ص26.

[8]– ينظر: موقع معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التَّاسع عشر والعشرين، http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=579، تاريخ الاطلاع: 27/ 01/ 2018م، 20:53.

[9]– أحمد الطيب معاش، مع الشهداء، دار الشهاب، باتنة، ط01، 1985م، المقدمة.

[10]– عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص08.

[11]– الديوان، ص21.

[12]– الديوان، ص21.

[13]– الديوان، ص21.

[14]– الديوان، ص22.

[15]– الديوان، ص22.

[16]– الديوان، ص ص22–23.

[17]– الديوان، ص24.

[18]– بومهلة التواتي، نماذج من الثورة في النص الشعري، دار المعرفة، الجزائر، د ط، د ت، ص26.

[19]– الديوان، ص25.

[20]– الديوان، ص21.

[21]– القرآن الكريم، رواية ورش، آل عمران، الآية 169.

[22]– عبد الرحمان بن ناصر السَّعدي، تفسير ابن سعدي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2002م، ص ص 156–157.

[23]– الديوان، ص21.

[24]– الديوان، ص23.

[25]– الديوان، ص23.

[26]– الديوان، ص23.

[27]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01،1985 ص317.

[28]– الديوان، ص22.

[29]– عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص43.

[30]– عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص 158.

[31]– الديوان، ص113.

* يعدُّ التَّصدير كمقدمة للنَّص والكتاب عامة، وهو ذو قيمة تداولية ووظيفة تلخيصيَّة، للمزيد: عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جنيت من النَّص إلى المناص) منشورات الاختلاف، ط01، 2008م، ص 107

[32]– الديوان، ص113.

[33]– الديوان، ص114.

[34]– الديوان، ص114.

[35]– الديوان، ص114.

[36]– الديوان، ص116.

[37]– الأسلاك الشائكة وحقول الألغام – سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ص22.

[38]– الديوان، ص115.

[39]– الديوان، ص ص115–116.

[40]– عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري الحديث، ص69.

[41]– عمر بن قينة، ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، ط03، 1992م، المقدمة.

[42]– ينظر: العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، ج01، د ط، 1989م، ص118.

[43]– الديوان، ص71.

[44]– عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945–1962م)، منشورات جامعة باتنة، د ط، د ت، ص224.

[45]– الديوان، ص71.

[46]– الديوان، ص72.

[47]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، الملجد12، مادة (ل ح م) ص537.

[48]– الديوان، ص71.

[49]– الديوان، ص71.

[50]– الديوان، ص72.

[51]– الديوان، ص ص72–73.

[52]– عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص10.

[53]– الديوان، ص73.

[54]– الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص15.

[55]– علي أحمد سعيد (أدونيس)، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط01، 1972م، ص160.

[56]– الديوان، ص72.

[57]– ينظر: عصام شرتح، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، ص09.

[58]– الديوان، ص72.

[59]– القرآن الكريم، رواية ورش، آل عمران، الآية 13.

[60]– الديوان، ص72.

[61]– القرآن الكريم، رواية ورش، الأنبياء، الآية69.

[62]– عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص ص152–153.

[63]– عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص112.